(١٧) اعتقاد السلف كما حكاه إسماعيل بن يحيى المزني (في كتابه شرح السنة)

(ت٢٦٤هـ- تلميذ الشافعي، ومن كبار أصحابه)

قال عَليُّ بن عبد الله الحلوانِي: كنت بطرابلس الْمغرب فَذكرت أَنا وَأَصْحَاب لنا السّنة إِلَى أَن ذكرنَا أَبَا إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ -رَحمَه الله- فَقَالَ بعض أَصْحَابنَا: بَلغنِي أَنه كَانَ يتَكَلَّم فِي الْقُرْآن وَيقف عِنْده؟! وَذكر آخرُ أَنه يَقُولُه، إِلَى ان اجْتمع مَعنا قوم آخَرُونَ، فَغَمَّ النَّاسَ ذَلِك غمًّا شَدِيدًا؛ فكتبنا إِلَيْهِ كتابا نُرِيد أَن نستعلم مِنْهُ يكْتب إِلَيْنَا شرح السّنة فِي الْقدر والإرجاء وَالْقُرْآن والبعثِ والنشور والموازينِ وَفِي النّظر، فَكتب إِلَيْنَا:

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

١- عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى، ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الهُدى، أما بعدُ فَإِنَّك -أصلحك الله- سَأَلتنِي أَن أُوضحَ لَك من السُّنة أمرًا تصبِرُ نَفسَك على التَّمَسُّكِ بِهِ، وتدرأ بِهِ عَنْك شَبَهَ

الأَقَاوِيل وزيغَ مُحدثاتِ الضَّالّين، وَقد شرحتُ لَك منهاجًا موُضِحًا مُنيرًا، لم آلُ نَفسِي وَإِيَّاكَ فِيهِ نصحًا، بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد.

٢- الحَمد لله أَحَق من ذكر وَأولى من شكر، وَعَلِيهِ أثني الوَاحِد الصَّمد الَّذِي لَيْسَ لَهُ صَاحِبَة وَلَا ولد جلّ عَن المثيل فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل.

٣- السَّمِيع البَصِير العَلِيم الخَبِير المنيع الرفيع

٤- عَال على عَرْشه فِي مجده بِذَاتِهِ، وَهُوَ دَان بِعِلمِهِ من خلقه.

٥- أحَاط علمُه بالأمورِ، وأنفذ فِي خلقه سَابقَ المَقْدُور، وَهُوَ الجوادُ الغفور ﴿يعلم خَائِنَة الأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور﴾

٦- فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهمْ لَهُ من خير وَشر، لَا يملكُونَ لأَنْفُسِهِمْ من الطَّاعَة نفعًا وَلَا يَجدونَ إِلَى صرف المعْصِيَة عَنْهَا دفعا

٧- خلق الخلق بمشيئته عَن غير حَاجَة كَانَت بِهِ.

٨- فخلق المَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته، وجبلهم على عِبَادَته.

فَمنهمْ مَلَائِكَةٌ بقدرته للعرش حاملون.

وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون.

وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله وَبَعض مدبرون لأَمره.

٩- ثمَّ خلق آدم بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جنته، وَقبل ذَلِك للأَرْض خلقه، وَنَهَاهُ عَن شَجَرَة قد نفذ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بأكلها، ثمَّ ابتلاه بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنْهَا، ثمَّ سلط عَلَيْهِ عدوه فأغواه عَلَيْهَا، وَجعل أَكله لَهَا إِلَى الأَرْض سَببا، فَمَا وجد إِلَى ترك أكلهَا سَبِيلا، وَلَا عَنهُ لَهَا مذهبا.

١٠- ثمَّ خلق للجنة من ذُريَّته أَهلا، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدرته وبإرادته ينفذون.

١١- وَخلق من ذُريَّته للنار أَهلا، فخلق لَهُم أعينا لَا يبصرون بهَا، وآذانا لَا يسمعُونَ بهَا، وَقُلُوبًا لَا يفقهُونَ بهَا، فهم بذلك عَن الهدى محجوبون، وبأعمال أهل النَّار بسابق قدره يعْملُونَ.

١٢- وَالإِيمَان: قَول وَعمل مَعَ اعْتِقَاده بالجنان؛ قَول بِاللِّسَانِ،

وَعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان، لَا نفرق بَينهمَا، لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل، وَلَا عمل إِلَّا بِإِيمَان.

١٣- والمؤمنون فِي الإِيمَان يتفاضلون، وبصالح الأَعْمَال هم متزايدون.

١٤- وَلَا يخرجُون بِالذنُوبِ من الإِيمَان.

١٥- وَلَا يكفرون بركوب كَبِيرَة وَلَا عصيان

١٦- وَلَا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب لَهُ النَّبِي ﷺ

١٧- وَلَا نشْهد على مسيئهم بالنَّار

١٨- وَالقُرْآن كَلَام الله عز وَجل، وَمن لَدنه، وَلَيْسَ بمخلوق فيبيد.

١٩- وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته، وَصِفَاته: كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وَلَيْسَت بمحدثات فتبيد، وَلَا كَانَ رَبنَا نَاقِصًا فيزيد.

٢٠- جلت صِفَاته عَن شبه صِفَات المخلوقين، وَقصرت عَنهُ فطن الواصفين.

٢١- قريب بالإجابة عِنْد السُّؤَال، بعيد بالتعزز لَا ينَال.

٢٢- عَال على عَرْشه، بَائِن من خلقه، مَوْجُود وَلَيْسَ بمعدوم وَلَا بمفقود.

٢٣- والخلق ميتون بآجالهم عِنْد نفاد أَرْزَاقهم وَانْقِطَاع آثَارهم.

٢٤- ثمَّ هم بعد الضغطة فِي القُبُور مساءلون.

٢٥- وَبعد البلى منشورون.

٢٦- وَيَوْم القِيَامَة إِلَى رَبهم مَحْشُورُونَ.

٢٧- ولدى العرض عَلَيْهِ محاسبون=

٢٨- بِحَضْرَة الموازين.

٢٩- وَنشر صحف الدَّوَاوِين. أَحْصَاهُ الله ونسوه.

٣٠- =فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خمسين ألف سنة لَو كَانَ غير الله عز وَجل الحَاكِم بَين خلقه، لكنه الله يَلِي الحكم بَينهم بعدله بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ أسْرع الحاسبين.

٣١- كَمَا بدأه لَهُم من شقاوة وسعادة يَوْمئِذٍ يعودون؛ فريق فِي الجنَّة وفريق فِي السعير.

٣٢- وَأهل الجنَّة يَوْمئِذٍ فِي الجنَّة يتنعمون، وبصنوف اللَّذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامات يحبرون.

٣٣- فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُونَ، لَا يمارون فِي النّظر إِلَيْهِ، وَلَا يَشكونَ، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم -بفضله- إِلَيْهِ ناظرة.

٣٤- فِي نعيم دَائِم مُقيم و﴿لَا يمسهم فِيهَا نصب وَمَا هم مِنْهَا بمخرجين﴾ ﴿أكلهَا دَائِم وظلها تِلكَ عُقبى الَّذِي اتَّقوا وعقبى الكَافرين النَّار﴾

٣٥- وَأهل الجحْد ﴿عَن رَبهم يَوْمئِذٍ لمحجوبون﴾ وَفِي النَّار

يسجرون ﴿لبئس مَا قدمت لَهُم أنفسهم أَن سخط الله عَلَيْهِم وَفِي العَذَاب هم خَالدُونَ﴾ و ﴿لَا يقْضى عَلَيْهِم فيموتوا وَلَا يُخَفف عَنْهُم من عَذَابهَا كَذَلِك نجزي كل كفور﴾ الآيَة. خلا من شَاءَ الله من المُوَحِّدين إخراجهم مِنْهَا.

٣٦- وَالطَّاعَة لأولي الأَمر؛ فِيمَا كَانَ عِنْد الله عز وَجل مرضيًا، وَاجْتنَاب مَا كَانَ عِنْد الله مسخطا.

٣٧- وَترك الخُرُوج عِنْد تعديهم وجورهم.

٣٨- وَالتَّوْبَة إِلَى الله عز وَجل كَيْمَا يعْطف بهم على رعيتهم.

٣٩- والإمساك عَن تَكْفِير أهل القبْلَة والبراءةِ مِنْهُم فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لم يبتدعوا ضلالًا، فَمن ابتدع مِنْهُم ضلالا؛ كَانَ على أهل القبْلَة خَارِجًا، وَمن الدّين مارقًا، ويتقرب إِلَى الله عز وَجل بِالبَرَاءَةِ مِنْهُ، ويهجر، ويحتقر، وتجتنب عُرَّتَه؛ فَهِيَ أعدى من عُرَّة الجرب [٢٠].

---

(٢٠) في المطبوع «غدته/غدة» وما أثبتُّه الصواب، قال الفراهيدي: «العَرُّ والعُرُّ والعُرَّة: الجَرَب... والعُرَّةُ

٤٠- وَيُقَال بِفضل خَليفَة رَسُول الله ﷺ أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ، فَهُوَ أفضل الخلق وأخيرهم بعد النَّبِي ﷺ.

٤١- ونثني بعده بالفاروق، وَهُوَ عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنهُ، فهما وزيرا رَسُول الله ﷺ، وضجيعاه فِي قَبره، وجليساه فِي الجنَّة.

٤٢- ونثلث بِذِي النورين، عُثْمَان بن عَفَّان رَضِي الله عَنهُ.

٤٣- ثمَّ بِذِي الفضل والتقى، عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

٤٤- ثمَّ البَاقِينَ من العشْرَة الَّذين أوجب لَهُم رَسُول الله ﷺ الجنَّة.

٤٥- ونخلص لكل رجل مِنْهُم من المحبَّة بِقدر الَّذِي أوجب لَهُم

اللَّطخ والعيبُ، تقولُ: أصابتني من فُلانٍ عُرَّةٌ، وإنَّهُ لَيَعرُّ قَوْمَه: إذا أدْخَلَ عليهم مَكروها» [العين (١/ ٨٥)] .

رَسُول الله ﷺ من التَّفْضِيل.

٤٦- ثمَّ لسَائِر أَصْحَابه من بعدهمْ رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

٤٧- وَيُقَال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عَن الخَوْض فِيمَا شجر بَينهم، فهم خِيَار أهل الأَرْض بعد نَبِيّهم، ارتضاهم الله عز وَجل لنَبيه، وخلقهم أنصارا لدينِه، فَهم أَئِمَّة الدّين وأعلام المُسلمين، فرَحْمَة الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ.

٤٨- وَلَا يتْرك حُضُورُ صَلَاة الجُمُعَة، وصلاتها مَعَ بر هَذِه الأمة وفاجرها لَازم مَا كَانَ من البِدْعَة بريا، فَإِن ابتدع ضلالا فَلَا صَلَاة خَلفه.

٤٩- وَالجِهَاد مَعَ كل إِمَام عدل أَو جَائِر، وَالحج.

٥٠- وإقصار الصَّلَاة فِي الأَسْفَار.

٥١- وَالِاخْتِيَار فِيهِ بَين الصّيام والإفطار، فِي الأَسْفَار إِن شَاءَ صَامَ وَإِن شَاءَ أفطر.

٥٢- هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الأَولونَ من

أَئِمَّة الهدى. وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كفوا؛ فسددوا بعون الله ووفقوا، لم يَرْغَبُوا عَن الإِتِّبَاع فيقصروا، وَلم يُجَاوِزُوهُ تزيدا فيعتدوا.

٥٣- فَنحْن بِاللَّه واثقون، وَعَلِيهِ متوكلون، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاع آثَارهم راغبون.

٥٤- فهَذَا شرح السّنة، تحريت كشفها وأوضحتها، فَمن وَفقه الله للقِيَام بِمَا أبنته = مَعَ معونته لَهُ بِالقيامِ على أَدَاء فَرَائِضه

أ- بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَات.

ب- وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات.

ت- وَأَدَاء الصَّلَوَات على الاستطاعات.

ث- وإيتاء الزَّكَاة على أهل الجِدَّات.

ج- وَالحج على أهل الجدّة والاستطاعات

ح- وَصِيَام الشَّهْر لأهل الصحَّات.

خ- وَخمْس صلوَات سنّهَا رَسُول الله ﷺ من بعد الصَّلَوَات؛ صَلَاة الوتر فِي كل لَيْلَة، وركعتي الفجْر، وَصَلَاة الفطر والنحر، وَصَلَاة كسوف الشَّمْس وَالقَمَر إِذا نزل، وَصَلَاة الاسْتِسْقَاء مَتى وَجب

د- وَاجْتنَاب المَحَارِم.

ذ- والاحتراز من النميمة، وَالكذب، والغيبة وَالبَغي، بِغَيْر الحق، وَأَن يُقَال على الله مَا لَا يعلم، كل هَذَا كَبَائِر مُحرمَات.

ر- والتحري فِي المكاسب، والمطاعم، والمحارم، والمشارب، والملابس.

ز- وَاجْتنَاب الشَّهَوَات، فَإِنَّهَا دَاعِيَة لركوب المُحرمَات، فَمن رعى حول الحمى فَإِنَّهُ يُوشك أَن يواقع الحمى

= فَمن يسر لهَذَا فَإِنَّهُ من الدّين على هدى وَمن الرَّحْمَة على رَجَاء.

وفقنا الله وَإِيَّاك إِلَى سَبيله الأقوم بمنه الجزيل الأقدم، وجلاله

العلي الأكرم.

وَالسَّلَام عَلَيْكُم وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته، وعَلى من قَرَأَ علينا السَّلَام، وَلَا ينَال سَلام الله الضَّالّين، وَالحَمْد لله رب العَالمين.

نجزت الرسَالَة بِحَمْد الله وَمِنْه، وصلواته على مُحَمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه الطاهرات وَسلم كثيرًا كثيرًا.

مصدر العقيدة:

رسالة مستقلة، ونقلها ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٤٥ ط عطاءات العلم) وقال «رواها أبو طاهر السِّلَفي عنه بإسناده».